

أضواء البيان

@ 60 @ عَلَّيْكَ الْكِتَابَ تَرْبِّيَانَا لَّكُلِّ شَيْءٍ { . قوله تعالى : { وَكُلِّ }
إِنْ سَأَلَ الْأَرْزَاقُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْ شُهُورٍ أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَّيْكَ
حَسِيبًا { . في قوله جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة { وَكُلِّ } إِنْ سَأَلَ الْأَرْزَاقُ طَائِرَهُ
طَائِرَهُ { وجهان معروفان من التفسير : .

الأول أن المراد بالطائر : العمل ، من قولهم : طار له سهم إذا خرج له . أي ألزمناه ما
طار له من عمله . .

الثاني أن المراد بالطائر ما سبق له في علم الله من شقاوة أو سعادة . والقولان متلازمان .
لأن ما يطير له من العمل هو سبب ما يؤول إليه من الشقاوة أو السعادة . .
فإذا عرفت الوجهين المذكورين فاعلم أنا قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك : أن الآية
قد يكون فيها للعلماء قولان أو أقوال ، وكلها حق ، ويشهد له قرآن فنذكر جميع الأقوال
وأدلتها من القرآن . لأنها كلها حق ، والوجهان المذكوران في تفسير هذه الآية الكريمة
كلاهما يشهد له قرآن . .

أما على القول الأول بأمر المراد بطائره عمله فالآيات الدالة على أن عمل الإنسان لازم له
كثيرة جداً . كقوله تعالى : { لَّيْسَ بِأَمَانِيَّكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ
الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ } ، وقوله { إِنْ سَأَلَ تَجْزَوْنَ مَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } ، وقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى
رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ } ، وقوله : { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسٍ بِهِ وَمَنْ
أَسَاءَ فَعَلَايَهُ } ، والآيات بمثل هذا كثيرة جداً . .

وأما على القول بأن المراد بطائره نصيبه الذي طار له في الأزل من الشقاوة أو السعادة
فالآيات الدالة على ذلك أيضاً كثيرة ، كقوله : { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَمِنْكُمْ
كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ } ، وقوله : { وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ } أي للاختلاف إلى شقي
وسعيد خلقهم . وقوله : { فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ } ،
وقوله : { فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ } ، إلى غير ذلك من الآيات
. .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { فِي عُنُقِهِ } أي جعلنا عمله أو ما سبق له من
شقاوة في عنقه . أي لازماً له لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه . ومنه قول العرب :

تقلدها طوق الحمامة . وقولهم : الموت في الرقاب . وهذا الأمر ربيعة في رقبته